

واغتنام الفرص بين الإمام الهادي والمتوكل

السنة السابعة عشرة
العدد ٩٤١ - ٤ / رجب / ١٤٣٢ هـ
الموافق ١ / حزيران / ٢٠١١ م

والسيرة وكتب الأخلاق يمثل هذه المواعظ، فمنها ما كان من الأئمة والنبي صلوات الله عليهم أجمعين ابتداءً، ومنها ما كان استجابة لطلب من موالٍ أحب أن يستفيد منهم هدية نافعة.

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): «نعم الهدية الموعظة»^(١).

١. مَنْ هُم الْوَعَّاضُ:

قد يظنُّ أحدُ أنَّ الواعظ لا بدَّ أن يكون شخصاً ناطقاً، وقولاً يصدر عن جهة، إلا أنَّ ما بين أيدينا يفيد أنَّ أهل الموعظة يتلقفون الموعظة من الفعل والقول، من أيِّ جهة، ومن تصارييف الدهر ووقائع الأيام.

١. النفس الواعظة:

في الحديث عن الإمام زين العابدين (عليه السلام): «ابن آدم، لا تزال بخير ما كان لك واعظٌ من نفسك، وما كانت المحاسبة من همتك، وما كان الخوف لك شعاراً، والحزن لك دثاراً، ابن آدم، إنك ميتٌ ومبعوثٌ وموقوف بين يدي الله عزَّ وجلَّ، فأعدَّ جواباً»^(٧).

٢. الدهر:

عن الإمام الكاظم (عليه السلام): «خذ موعظتك من الدهر وأهلكه؛ فإنَّ الدهر طويلة قصيرة. فاعمل كأنك

وجيب أفئدتهم.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهَدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) حيث إنَّ أهل الإيمان هم الذين يشغلون أنفسهم بالموعظة، لما فيها إحياء للنفس، وجلاء للقلوب. فعن أمير المؤمنين (عليه السلام): «المواعظ صقال النفوس، وجلاء القلوب»^(٢).

وعنه (عليه السلام): «المواعظ حياة القلوب»^(٣).

ولما فيها من تنبيه من الغفلة، وإيقاظ للنفس؛ فعنه (عليه السلام): «بالموعظ تجلي الغفلة»^(٤).

وعنه (عليه السلام): «ثمرة الوعظ الانتباه»^(٥).

وإنَّ من دأب المؤمنين العاقلين أن يطلبوا المواعظ من العلماء والأولياء، ومن أهل التجارب ومن صقلت شخصياتهم الحياة. وقد كثرت الروايات حول طلب الموالين من أئمتهم المعاصرين لهم، القريبين منهم، وكان ذلك معلوماً زمن رسول الله ﷺ. حيث تزرع كتب الحديث

محاور الموضوع الرئيسية:

١. الموعظة فعل العاقلين.

٢. مَنْ هُم الْوَعَّاضُ.

٣. أفضل الواعظين.

٤. الإمام الهادي (عليه السلام) والمتوكل.

الهدف:

نبيّن من هم المتّعظون، وما مدى تأثير الموعظة في أهلها، وأنَّ كل شيء فيه موعظة، ثم ما جرى بين الإمام الهادي (عليه السلام) وبين المتوكل العباسي.

تصدير الموضوع:

أمير المؤمنين (عليه السلام): «إنَّ في كل شيء موعظة وعبرة لذوي اللبِّ والاعتبار»^(١).

(١) غرر الحكم، الحكمة ٣٤٦٠.

١. الموعظة فعل العاقلين:

لا ينبغي أن يُغفل عن التأثير البالغ الذي تتركه الموعظة في قلوب أهل الإيمان، حيث يشغل نفوسهم القرب من خالقهم، ويتملّكهم الخوف من سخط الجبار، طالبين رضاه، مقتفين آثار رحمته دون سواه، موقنين أنَّ الموعظة تصوّب مسار حياتهم، وتهدّي من روع قلوبهم، وتسكّن

(١) سورة يونس، الآية: ٥٧.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم للقاضي الأمدي، الحكمة ١٣٥٤.

(٣) نفس المصدر، الحكمة ٣٢١.

(٤) ن.م، الحكمة ٤١٩١.

(٥) ن.م، الحكمة ٤٥٨٨.

(٦) غرر الحكم، الحكمة ٩٨٨٤.

(٧) أمالي الشيخ الطوسي، ص ١٥، ح ١٧٦.

إليه يصعد الكلم الطيب

تري ثواب عملك، لَتَكُنْ أطمعَ في ذلك^(١).

٣. التجارب:

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «العاقِل من وعظته التجارب»^(٢).

وعنه عليه السلام: «كفى عظة لذوي الألباب ما جرّبوا»^(٣).

وعنه عليه السلام: «في كلِّ نظر عبرة، في كلِّ تجربة موعظة»^(٤).

٤. الموت:

عن رسول الله ﷺ: «كفى بالموت واعظاً»^(٥).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «فكفى واعظاً بموتى عاينتموهم، حُمِلوا إلى قبورهم غير راكبين»^(٦).

وعنه عليه السلام: «إنَّ الغاية القيامة، وكفى بذلك واعظاً لمن عقل، ومعتبراً لمن جهل»^(٧).

٥. كل شيء موعظة:

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «للكيس في كلِّ شيء اتعاض»^(٨).

ولما كتب هارون العباسي للإمام الكاظم عليه السلام، طالباً منه الموعظة، كتب عليه السلام مجيباً: «ما من شيء تراه عينك إلا وفيه موعظة»^(٩).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنَّ في كلِّ شيء موعظة وعبرة لذوي اللبِّ والاعتبار»^(١٠).

٦. أفضل الواعظين:

إنَّ أجَلَ الواعظين العاملين بما يعطون، المؤتمرون بما يأمرون، فإنَّ هؤلاء مصاييح تنير للعالمين طرق الصلاح ودروب الهداية.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «استصحبوا من شعلة واعظ متعظ، واقبلوا نصيحة ناصح متيقظ، وقفوا عند ما أفادكم من التعليم»^(١١).

٧. الإمام الهادي عليه السلام والمتوكل:

نقل سبط ابن الجوزي عن المسعودي في مروج الذهب: «سعى المتوكل (العباسي) بعلي بن محمد الجواد (عليهما السلام) أن في منزله كتباً وسلاحاً من شيعة من أهل قم، وأنه عازم على الوثوب بالدولة. فبعث إليه جماعة من الأتراك، فهجموا (على) داره ليلاً، فلم يجدوا فيها شيئاً ووجدوه في بيت غرفة مغلق عليه، وعليه مدرعة صوف، وهو جالس على الرمل والحصى وهو متوجّه إلى الله تعالى يتلو آيات من القرآن. فحُمِل على حاله تلك إلى المتوكل وقالوا له: لم نجد شيئاً ووجدناه يقرأ القرآن مستقبل القبلة. وكان المتوكل جالساً في مجلس الشرب، فدخل عليه والكأس بيد المتوكل. فلما رآه هابه وعظّمه وأجلسه إلى جانبه، وناوله

الكأس التي كانت في يديه، فقال: والله، ما يخامر لحي ودمي قط، فأعفني، فأعفاه ثم قال: أنشدني شعراً. فقال عليه السلام: «إني قليل الرواية للشعر، فقال: لا بدّ فأنشدته عليه السلام وهو جالس عنده:

باتوا على قُلِّ الأجيال تحرسهم
غُلِبَ الرجال فلم تنفعهم القِلَلُ
واستنزّلوا بعد عزٍّ من معاقلهم
وأنزّلوا حُصراً يا بئسما نزّلوا
ناداهم صارخ من بعد دَفْنِهِمْ
أين الأساور والتيجان والحلُّ
أين الوجوه التي كانت منعمة
من دونها تُضرب الأسرار والكلُّ
فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم
تلك الوجوه عليها الدود يقتلُ
قد طال ما أكلوا دهرًا وما شربوا
وأصبحوا اليوم بعد الأكل قد أكلوا
قال المسعودي: «فيكي المتوكل حتى بلّت لحيته دموع عينه، وبكى الحاضرون»^(١٢).

قال في البحار: «روى الكراجكي في كنز الفوائد، وقال: فضرب المتوكل بالكأس الأرض وتغصّ عيشه ذلك اليوم»^(١٣).

لكن، أسفًا على تلك الموعظة التي فعلت فعلها في تلك اللحظات، حتى إذا ما عاد المتوكل إلى ندمائه وغلمانة وقيانه، عاد إلى سالف عادته من أيامه وزمانه.

(١٢) سبط بن الجوزي في التذكرة (تذكرة الخواص)، ص ٢٠٣، نقلًا عن المسعودي في مروج الذهب.
(١٣) البحار، ج ٥، ص ٢١٢، ٢١٣.

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي، ج ٧٨، ص ٢٠٦، ح ١.
(٢) تحف العقول لابن شعبة الحرّاني، ص ٨٥.
(٣) غرر الحكم، الحكمة ٧٠٥٩.
(٤) نفس المصدر، الحكمة ٦٤٦٠.
(٥) تحف العقول، ص ٣٥.
(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٩٩.
(٧) غرر الحكم، الحكمة ٣٦٢٠.
(٨) غرر الحكم، الحكمة ٧٣٣٨.
(٩) ميزان الحكمة، للريشهري، ج ٢٩.

(١٠) غرر الحكم، الحكمة ٣٤٦٠.
(١١) غرر الحكم، الحكمة ٢٥٤٥.